ما انفرد به يونس بن حبيب في النّحو

د. الجيلالي بوعافية، جامعة تلمسان، الجزائر.

ملخّـص

يتناول المقال مجموعة من المسائل النَحوية قد انفرد بها يونس بن حبيب عن غيره من علماء اللغة العربية، ويوضّح مدى إسهاماته في تسهيل قواعدها، ويحاول ربطها بواقع اللغة.

الكلمات المفتاحية: المسائل النحوية – يونس بن حبيب – تسهيل القواعد.

Abstract

Cet article tente de traiter un ensemble de questions grammaticales quelles sont unique à Younes Ben Habib paraport aux autres linguistes arabes, Et explique combien il a contribué à faciliter leurs règles, Et essaie de le relier à la réalité du langage.

Mots clés: Questions Grammaticale - Younes Ben Habib – Facilitation des règles.

توطئـــــــة:

عُرف يونس بن حبيب بالقياس المتفرد وذلك لتميّز قياسه بخصائص جعلت منه مذهبًا متفردًا. وأصبح ليونس مذهب نحوي متفرد بين نحاة البصرة، فقد جمع بين القياس والسماع، فهو وإن كان من أصحاب القياس إلاّ أنه كان ينفرد بالقياس على القليل المسموع مادام موثوقا به، ولو توفر له شاهد وحيد.

ويشير سيبويه إلى هذه القضيـــة بقوله: «أمّا يونس فزعم أنه نوَّن مضطرًا»[1]، وزعم أنّ قوله: «لا نسب اليوم ولا خلّة.»[2]على الاضطرار.

إذن، فالأساس الذي انطلق منه يونس بن حبيب في قياسه النحوي هو الإحاطة بأكبر قدر ممكن من كلام العرب، «فلغات العرب جميعها حجّة والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ.»[3]

ولقد أدرك سيبويه ضرورة الاعتماد على شواهد يونس لما تتميز به من دقة الوصف وحسن الرواية وصحة النقل، وكان كثيرا ما يلجاء إليه ليَسْتوثق منه صحة الشاهد يقول سيبويه: «وسمعنا بعض العرب يقول: الحمد لله ربّ العالمين فسألت عنها يونس فزعم أنّها عربية.»[4]

ولا يكتفي بذلك بل يعتبر الشواهد التي تتبعها يونس من كلام العرب قوة في الاحتجاج والاستدلال في استنباط القواعد والقوانين، يقول سيبويه في ذلك: «فإذا قالوا ولد سدوسْ كذا وكذا أو ولد جذام كذا وكذا صرفوه، وممّا يقوي ذلك أنّ يونس زعم أنّ بعض العرب يقول هذا تميم بنت مرّ.»[5]

فالمُلاحظ على منهج يونس هو اهتمامه البالغ بالشواهد اللغوية ويجعلها في المقام الأول في تطبيق القياس.

وكما يقول الدكتور 'الحلواني': «كان منهجه يجمع بين الدراسة الوصفية والنظرة المعيارية كما جمع بين السماع والقياس.»[6]

ونظرا لشخصية يونس العلمية وما تميّز به من ذكاء وفطنة وبراعة جعلته يتفرد عن غيره من النحاة في الكثير من الآراء والاستدلالات للقواعد النحوية، حتى قيل عنه: «كانت ليونس مذاهب وأقيسه تفرد بها.»[7] ونحن نحسبها البذرة الأولى في تيسير النحو و خاصة في تلك المسائل التي كان متساهلا فيها أو في مناقشتها مخالفا فيها معاصريه وقد أقرّ له بهذا التساهل تلميذه الفذّ سيبويه.

1 - مسألة في الظـــرف:

يعرض سيبويهِ –كعادته كثيرا- إلى مسائل نحوية ذائعة التناول قبله وبعده، غير أنّه يسلّط ضوء المعالجة والبحث على جوانب منها مسيسة الصلة بما يتناوله الألسنيون المعاصرون ويعدّونه من صميم اللغة ومتنها ويفاضلون على أساس منه بين التعابير والجمل؛ بل وبين اللغات.

وههنا مسألة في الظرف بَسَطَها سيبويهِ ومدّ جسورا من التعاطي العلمي المؤسّس على أسس علميّة متينة محدّدا أهدافا لم يعلن عنها، نهدف نحن من خلال استقصائنا منهج البسط عنده والنقاش إلى تبين مواطن الإصابة والدقّة والجدّة والنُجح الذي جعل كلماته تطير بين أقرانه وبعد عصره إلى آماد بعيدة.

عرضها سيبويهِ بداءةً عرضا تعريفيا كأنّما هو طرّةٌ أو تمهيدةٌ منهجيّة، ليس الغرض منها ذاتَها ؛ بل الغرض التوطئةُ بها لما يعقد العزمَ على تجليته للدارسين، وهو أمر يراه ذا أهمية وعلى قدر من الجدّة والدقة، قال في مطلع باب «ما يَنتصب من الأماكِنِ والوَقت» مُمهّدا: (فالمكانُ قولُك هو خَلْفَك وهو قُدّامَك وأَمامَك وهو تَحْتَكَ وقُبالَتَك وما أشبه ذلك ، ومن ذلك قولك أيضاً هو ناحيةً من الدار وهو ناحيةَ الدارِ وهو ناحيتَك وهو نَحْوَك وهو مكاناً صالحاً ودارُه ذات اليمين وشرقِيَّ كذا، قال الشاعر وهو جرير:

هَبَّتْ جَنوباً فذِكرَى ما ذَكَرْتُكُمُ ❖ عند الصَّفاةِ التي شرقِيَّ حَوْرانَا [8]

وهذا هو الحد الأدنى من المعارف في هذا الباب، ويلحظ منه الاحتجاج لهذا القدر من المعرفة بالشواهد المعتبرة، ما يدل على استقرار ووضوح في الرؤية لديه، بيد أنّه قال بعد ذلك: (وقالوا منازلهم يميناً ويَساراً وشِمالا ، قال الشاعر وهو عمرو بن كُلثوم:

صَددتِ الكأْسَ عنَّا أُمَّ عمرٍو ❖ وكان الكأْسُ مَجْراها اليَمينَا [9]

لكن الأمر إذا ما أشركنا يونس فيما نقله عنه سيبويهِ أنّنا واجدون ما شارك فيه يونس في هذه المسألة هو شيء شديد اللطافة ، فقد نسب إليه سيبويهِ الرأي في الاستخدام غير المألوف عن العرب وذلك قوله عنه بعد نقل بيت عمرو بن كلثوم: «أي على ذاتِ اليمينِ حدّثنا بذلك يونس عن أبى عمرو وهو رأيُه.»[10]

غيرَ أنّ الضمير الذي في قوله: (وهو رأيه) غامض الدلالة محتمل العودة على يونس وعلى أبي عمرو كليهما.

– فإن كان يعود على أبي عمرو فإنّه يعني أنّ سيبويهِ يحترم الرواية احتراما منهجيا علميا ويؤسّس بذلك لأمر غير مسبوق في تعاطي علوم العربية وهو الإسناد الحيّ الذّي يذكر فيه الرواة ذكرا متصلا وإن كان أبو عمرو ويونس وسيبويهِ متعاصرين جميعا.

– وإن كان يعود على يونس نفسه فإنّه يفيد أيضا أمرا علميا آخر على جانب من الأهمية هو الترقّي والتدرّج في سَلسلة الأفكار ونَسْبِها بدقة إلى أصحابها، وهو كذلك شيء علميّ ذو دلالة على تفكير موضوعي يسعى إلى نُجح وخلود.

وعلى كل حال؛ فإنّ الموقع الذي وضع سيبويهِ فيه شيخَه يونس هو موقع المشيخة التامّة؛ والمصدر المعد للاستقاء وتعزيز النقاش، إذ إنّه لولا اعتداده برأي يونس ما كان أورده على هذا النمط من العزو، سيما أنّه قال: حدّثنا بذلك يونس... وهو رأيه.

ويُشتمّ من ذلك الطرح ما ذكرناه في ترجمة سيبويهِ من أنّه كان متتلمذا لعلم الحديث قبل انقلابه إلى علوم العربية، وأنّ سبب ذلك الانقلاب منازعة علمية بسيطة في حديث على طريقة اللغويين.

ويظهر ذلك أيضا على مستـــــوى الألفاظ والاصطلاحات المستعملة: (حدثنا، عن ...)

ثم قال معربا عن ما هو محض إبداعه وصنعة فكره: «وَاعْلمْ أنّ هذه الأشياء كلّها قد تكون اسماً غير ظروف بمنزلة زيد وعمرو.»[11] وترجمة هذه الفكرة ظهرت في فهوم من تلقفها بعد سيبويه ، فهو يعني أنّ الظروف منها المختصّ الذي لا يفارق الظرفية ومنها ما يتردّد بين الظرفية والإسمية.

وتلقّف المبرد كلمة سيبويهِ هذه ثمّ شرحها بقوله: «وتقول وسْط رأسك صلب لأنّه اسم غير ظرف، وتقول ضربت وسْطه لأنّه المفعول به بعينه، وتقول حفرت وسَط الدار بئرا إذا جعلت الوسَط كلّه بئرا كقولك خرب وسَط الدار»، ثمّ ألقى بقاعدة بها يعرف الفرق بين الظرف والاسم مفادها أنّ الظرف لا يكون معه حرف الجر، وإن لم يعلن عن العلّة في ذلك وهي أنّ الظرف ذاته متضمن حرف الجر «في» فلا يأتي معه «في»، وإلاّ كان تكراراً، كما لا يأتي معه غيره لأنّ حرف الجر لا يدخل على حرف الجر.

قال المبرد ملمّحا إلى تلك العلّة: «وكلّ ما كان معه حرف خفض فقد خرج من معنى الظرف وصار اسما صح كقولك سرت في وسط الدار لأن التضمن لـ'في'.»[12]

«وتقول قمت في وسَط الدار كما تقول قمت في حاجة زيد فتحرك السين من وسط

لأنّها هنا ليست بظرف»، وقد تحدث سيبويهِ في جانب آخر من جوانب الظروف واستخداماتها الفصيحة المحوجة إلى فضل تأمّل وإلى دقّة في المعالجة ، وذلك هو جانب **الاتساع في الظرف**، وهو موضوع طرقه جملة من العلماء والباحثين في حقول معرفية مرتبطة بالبلاغة.

قال ابن السرّاج: «واعلم : أنّ الظروف أصلها الأزمنة والأمكنة ثم تتسع العرب فيها للتقريب والتشبيه فمن ذلك قولك : زيد دون الدار وفوق الدار إنّما تريد : مكاناً دون الدار ومكاناً فوق الدار ثم يتّسع ذلك فتقول : زيد دون عمرو وأنت تريد في الشرف أو العلم أو المال أو نحو ذلك وإنّما الأصل المكان .»

ومما اتّسعوا فيه قولهم : هو منّي بمنزلة الولد إنّما أخبرت أنّه في أقرب المواضع وإن لم ترد البقعة من الأرض وهو منّي منزلة الشغاف، ومزجر الكلب، ومقعد القابلة، ومناط الثريا، ومعقد الإزار.

لكنّ سيبويهِ لم يُحِلَّ من هذا إلا المسموعَ ولم يجْرِهِ قياسا، ولذلك ذكر أمثلة وجملا بأعيانها. قال: «وليس يجوز هذا في كلّ شيء ، ولو قلت هو منّي مجلسَك أو متكأَ زيدٍ أو مربط الفرس؛ لم يجز، فاستعمل من هذا ما استعملت العرب وأجز ما أجازوا.»[13]

ولخّص ابن السرّاج فهمه لكلام سيبويهِ إذ قال: «وأمّا ما يرتفع من هذا الباب فقولك : هو منّي فرسخان وأنت منّي يومان وميلان وأنت منّي عدوة الفرس وغلوة السهم هذا كلّه مرفوع لا يجوز فيه إلا ذاك وإنّما فصله من الباب الذي قبله أنّك تريد : ها هنا بيني وبينك فرسخان ولم ترد أنت من هذا المكان لأنّ ذلك لا معنى له فما كان في هذا المعنى فهذا مجراه نحو : أنت منّي فوت اليد ودعوة الرجل.»[14]

والواقع أنّ كلام سيبويهِ واضح الدلالة على أنّ في الأمر سماعا وفيه ما يقبل القياس، قال: «وأمَّا قولهم دارى خَلْفَ دارك فرسَخاً فانتَصب لأنَّ خَلْفَ خَبَرٌ للدار وهو كلامٌ قد عَمِلَ بعضُه في بعض واستَغنى فلمَّا قال دارى خلف دارك أَبْهَمَ فلم يُدْرَ ما قدرُ ذاك فقال فرسَخاً وذِراعا ومِيلا أراد أن يبيِّنَ | فيَعملُ هذا الكلامُ في هذه الغايات بالنَّصب كما عَمل له عِشْرون درهماً في الدرهم كأَنَّ هذا الكلامَ شيء منَّونٌ يَعمل فيما ليس من اسمه ولا هو هو كما كان أفضلُهم رَجُلا بتلك المنزلة ، وإنْ شئت قلت دارى خلفَ دارك فرسخانِ تُلْغِى خلفَ كما تُلغِى فيها إذا قلت فيها زيدٌ قائمٌ، وزعم يونسُ أنّ أبا عمرو كان يقول دارى من خَلْفِ دارك فرسخانِ فشبَّهه بقولك دارُك منّى فرسخانِ لأنَّ خلفَ ههنا اسمٌ وجَعَل مِنْ فيها بمنزلتها فى الاسم | وهذا مذهبٌ قويٌّ | وأما العربُ

فتَجعلُه بمنزلة قولك خَلْفَ فتَنصبُ وتَرفعُ لأنك تقول أنت من خَلْفى ومعناه أنت خَلْفى ولكنّ الكلام حَذْف | ألاَ ترى أنَّك تقول دارُك من خلفِ دارى فيَستغنى الكلامُ | وتقول أنت منّى فرسخَينِ أي أنت منّى ما دُمْنَا نَسيرُ فرسخَينِ فيكون ظرفاً كما كان ما قبله مما شُبّه بالمكان.»[15]

وقال المبرد: «وتقول فيما كان من الأماكن مرسلا أنت منّي عُدوة الفرس وأنت منّي دَعوة الرجل، لأنّه أراد بيني وبينك ولم يرد أنت في هذا المكان فإنّما يُنبئ عن هذا معناه.وتقول موعدك باب الأمير إذا جعلته هو الموعد وتنصب إذا أردت أن تجعله ظرفا كأنّك قلت: موعدك حضرة باب الأمير؛ أي في ذلك الموضع؛ لأنّك إذا أردت حضرة كانت شيئاً عاماً.»[16]

ثم إنّ سيبويه يجعل يونس من أهل الرواية ؛ واثقا في روايته جاعلا نفسه كالذي استقى من المورد العذب ، وسمع من الأعراب ، وأتى الشيء من معدنه، فنرى في نقوله عنه ما يُفيد توثيقه إيّاه في هذا الأمر.

لكن ما يلفت النظر ويستجلب المناقشة؛ هو تلك المسحة الفريدة من لدن سيبويه؛ التي يمزج فيها الاستقاء والرواية بالطرح العلمي للفكرة التي يناقشها، وذلك أنّه في الحين الذي يشرك شيخه يونس في النقاش؛ ويفسح له بابا لعرض رأيه ، ينتهز الفرصة ليعْلمَنا أن يونس رأى رأيا روى فيه عن العرب شيئا بنى عليه. قال: «وتقول كيفَ أنت إذا أُقبل قُبْلُك ونُحِيَ نَحْوك كأَنّه قال كيف أنت إذا أُريدت ناحيتُك وإذا أُريد ما عندك حين قال إذا نُحِيَ نَحْوك.»

وأمّا حين قال أُقبل قُبْلُك فكأَنّه قال كيف أنت إذا أُقبلَ النَّقْبَ الرَّكابُ جعلهما اسمَينِ.

وزعم الخليل رحمه الله أن النصب جيّدٌ إذا جعله ظرفا وهو بمنزلة قول العرب هو قَريبٌ منك وهو قَريباً منك أي مكانًا قريبا منك، حدّثنا يونسُ أنَّ العربَ تقول في كلامها هَلْ قريباً منك أحدٌ كقولهم هل قُرْبَك أحدٌ. وأمّا دونَك فإنه لا يُرْفَعُ أبداً وإن قلت هو دونَك في دونَك في الشَّرَف لأنَّ هذا إنَّما هو مَثَلٌ كما كانَ هذا مكانَ ذا في البدل مثلا ولكنَّه على السعة.[17]

ونرى مكانة يونس في هذا النص تختلف بشكل واضح عن مكانة الخليل، ذلك أنّ رأي الخليل ويونس هنا واحد ، لكنّه قال: زعم الخليل -رحمه الله- ولم يورد عنه رواية ولا استشهادا ببيت أو نحوه، ثم ذكر يونس في آخر الكلام وأورد له نقلا عن العرب.

وذلك النّقل يمكن اعتباره توثيقا يوازي الرواية المعتمِدة للبيت المعروف القائل كالذي يعزى إلى امرئ القيس أو الأعشى أو جرير أو نحوهم.

ومن الجوانب المهمّة في هذا الباب التي أشرك فيها سيبويه يونس وقوع الظرف موقع الرفع ، وإنّما تظهر أهمية ذلك الجانب حين نعلم أنّ يونس أثبت جواز الرفع فيها بالمنقول عن العرب الذي لا تقوله جميع العرب أو يخلص في الكلام الفصيح وينبو عنه عامّة الناس.

وأمّا ما يَرتفع من هذا الباب فقولك هو منّى فَرْسَخَانَ وهو منّى عَدْوةُ الفَرسِ ودَعْوةُ الرجُل وغَلْوةُ السهمِ وهو منّى يومانِ وهو منّى فَوْتُ اليد ، فإنَّما فارَقَ هذا البابَ الأوّلَ؛ لأنَّ معنى هذا أنَّه يُخْبربينه وبين فرسخين ويومين ودعوة الرجل وفوتاً ومعنى ة فوت اليد أنه يريد أن يقرَّبَ ما بينه وبينه. فهذا على هذا المعنى وجرى على الكلام الأوّل كأنَّه هو لسَعة الكلام كما قالوا أَخْطَبُ ما يكون الأميرُ يومُ الجمعة | وأمّا قول العرب أنت منّى مَرْأَى ومَسْمَعٌ فإنما رفعوه لأنّهم جعلوه هو الأوّلَ حتّى صار بمنزلة قولهم أنت منّى قريبٌ وزعم يونس أنّ ناساً من العرب يقولون:

أَنُصْبٌ للمنيّةِ تَعتريهم ❖ رِجالي أم هُمُ دَرَجُ السُّيولِ

فجعَلَهُم هم الدّرَجَ كما تقول زيدٌ قَصْدُك إذا جعلتَ القصدَ زيداً وكما يجوز لك أن تقول عبدُ الله خَلْفُك إذا جعلتَه هو الخَلْفَ. واعلمْ أنّ هذه الحروف بعضُها أشدُّ تمكُّنًا فى أن يكون اسماً من بعض كالقَصْد والنَّحْو والقُبْل والناحية.

والعجيب أن بيت إبراهيم بن هرمة الذي بسطه سيبويه دليلا على جواز ارتفاع ما يصح أن يكون ظرفا؛ هو ذات البيت الذي ساقه قبلُ دليلا على مسموع غير مقيس، وهو قول العرب : هو مني درجَ السيل أي مكانه. ثم جعله عن يونس مرويا بالضم.

وهذا مما نستدل به على أن سيبويه شديد الدقة حين يروي ما بلغه هو عن العرب، وسمعه بنفسه دليلا لا يحتاج إلى إسناد أو نسبة، وحين ينقل عن غيره ما هو خلاف منقوله يوجب على نفسه العزو والإسناد ؛ ليبرئ ساحته من تهمة المساءلة والدحض، وهو عين ما يوجبه المنهج العلمي الحديث على الباحث من تحري الدقة في العزو والاقتباس والشاهد والرواية. وإطلاق العنان للرأي المسدد الذي يبديه الباحث نفسه.

ثم إنّه حينما ينقل عن يونس بيت ابن هرمة برفـــــع (درج) ثمّ يعبّر عن ذلك بالقول: (أنّ ناسا من العرب يقولون)؛ فإنّ ذلك التعبير يحتمل ما يأتي:

– أنّ يونس روى حقاً هذا البيتَ روايةً أخرى غيرَ التي يعرفها سيبويه، أقرّ له بها أم لم يقرّ.

– أن يكون أراد أنّ يونس يرى أنّه لو قيل في مثل ذلك البيت بمثل ذلك الرفع لصحّ، وهو أسلوب رأيناه كثيرا لدى الفرّاء حين يقول: ولو قيل في الآية كذا مكان كذا؛ لكان صوابا...ونحو ذلك.[18]

ونفهم من ذلك العرض بتلك الصـــورة سيبويه يجعل شيخه يونس في مكانة الموثق بروايته وبرأيه لِما يرى من عدالته واستحقاقه الثقةَ.

وكذلك مَرأَى ومَسْمَعٌ كينونتُهما أسماءَ أكثرُ ومع ذلك إنّهم جعلوه اسماً خاصاً بمنزلة المجلس والمُتَّكأَ وما أشبه ذلك فكرهوا أنْ يَجعلوه ظرفا. وقد زعموا أنّ بعض الناس يَنصبه يَجعله بمنزلة دَرَجَ السُّيول فينصبُه وهو قليل كأَنّهم لمّا قالوا بمرأى ومسمعٍ فصار غيرَ الاسم الأوَّل فى المعنى واللفظ شبَّهوه بقوله هو منّى بمنزلة الولد. وقد زعم يونسُ أنّ ناسا يقولون هو منّى مَزْجَرُ الكلب يجعلونه بمنزلة مَرْأًى ومسمع | وكذلك مَقْعَدٌ ومَناطٌ يجعلونه هو الأوّلَ فيُجرَى كقول الأخطل:

وأنتَ مَكانُك من وائلٍ ❖ مَكانُ القرادِ مِنِ أستِ الجَمَلْ

وإنّما حسن الرفعُ ههنا لأنَّه جَعَل الآخِرَ هو الأوّلَ كقولك له رأسٌ رأسُ الحِمار، ولو جَعل الآخِرَ ظرفًا جاز ولكنّ الشاعر أراد أن يشبِّهَ مكانَه بذلك المكان.

ويمكن تبين صواب الفكرة التي نسبها سيبويه إلى يونس من عرضها على النّص القرآني، فهو المقياس والميزان الذي عليه يقاس وإليه يصار وبه يحتذى.

قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**﴾: «قرأ الجمهور هذا يومُ بالرفع على أنّ 'هذا' مبتدأ ؛ و'يومُ': خبره ؛ والجملة محكية بـ: 'قال'، وهي في موضع المفعول به، لـ'قال'، أي: هذا الوقت وقت نفع الصادقين وفيه إشارة إلى صدق عيسى عليه السلام. وقرأ نافع (هَذَا يَوْمَ) بفتح الميم. وخرّجه الكوفيون على أنّه مبنيّ خبرا لـ 'هذا'، وبني لإضافته إلى الجملة الفعلية، وهم لا يشترطون كون الفعل مبنياً في بناء الظرف المضاف إلى الجملة، فعلى قولهم تتحد القراءتان في المعنى.

وقال البصريون : شرط هذا البناء إذا أضيف الظرف إلى الجملة الفعلية أن يكون مصدراً بفعل مبني، لأنّه لا يسري إليه البناء لا من المبني الذي أضيف إليه، والمسألة مقررة في علم النحو.»[19] فعلى قول البصريين: هو معرب لا مبني وخرج نصبه على وجهين ذكرهما الزمخشري وغيره.

أحدهما: أن يكون ظرفاً لـ 'قال'، وهذا إشارة إلى المصدر فيكون منصوباً على المصدرية، أي: قال الله هذا القول أو إشارة إلى الخبر أو القصص، كقولك : قال زيد شعراً أو قال زيد خطبة، فيكون إشارة إلى مضمون الجملة ، واختلف في نصبه أهو على المصدرية أو ينتصب مفعولاً به؟

فعلى هذا الخلاف ينتصب إذا كان إشارة إلى الخبر أو القصص نصب المصدر أو نصب المفعول به . قال ابن عطية : وانتصابه على الظرف وتقدير (قَالَ اللَّهُ هَذَا) القصص أو الخبر (يَوْمُ يَنفَعُ) معنى يزيل وصف الآية وبهاء اللفظ والمعنى.

والوجه الثاني أن يكون ظرفاً خبر هذا وهذا مرفوع على الابتداء والتقدير، هذا الذي ذكرناه من كلام عيسى واقع يوم ينفع؛ ويكون «هذا يوم ينفع» جملة محكية بـ 'قال'.»[20]

قال الزمخشري: وقرأ الأعمش «يوماً ينفع» بالتنوين كقوله: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي**﴾ [21] وقال ابن عطية : وقرأ الحسن بن عياش الشامي:»هَذَا يَوْمٌ» بالرفع والتنوين. وقرأ الجمهور:(صِدْقُهُمْ) بالرفع فاعل ينفع وقرئ بالنصب، وخرج على أنّه مفعول له أي لصدقهم أو على إسقاط حرف الجر أي بصدقهم أو مصدر مؤكّد ، أي الذين يصدقون صدقهم أو مفعول به أي يصدقون الصدق كما تقول : صدقته القتال والمعنى يحققون الصدق. [22]

وتكلّم الفرّاء عن تغير ظرف الزمان عن حال النصب فقال: «وقد يكون قوله: ﴿**هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ**﴾[23] كذلك. وقوله: ﴿**هَذا يَوْم لا يَنْطِقُون**﴾[24] فيه ما فى قوله: (يوم ينفع) وإن قلت «هذا يومٌ ينفع الصادقين» كما قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ**﴾تذهب إلى النكرة كان صوابا. والنصب فى مثل هذا مكروه فى الصفة؛ وهو على ذلك جائِز، ولا يصلح فى القراءة.»[25]

وقد ورد مثل ذلك لدى المفسريـــن في قول الله تعالى: واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب. [26]

وقد ورد البناء أو النصـــب للظرف المضاف إلى جملة في القرآن، وكان يحتمل فعل الاستماع بناء على الظرف ثلاث أطاريح:

– حمل الاستماع على حقيقته، ولمّا كان اليوم ليس مما يسمع تعين تقدير: «استمع نداء المنادي» أو الصيحة يوم ينادى

– تنزيل «استمع» منزلة اللازم أي كن سامعا صيحة المنادي.

– حمل الاستماع على المجاز أي: انتظر. وتحسّس هذا اليوم ترى وتجد صحة ما قلناه فيه من الأهوال.

قال الطاهر بن عاشور: «واللائق بالجري على المحامل الثلاثة المتقدمة أن يكون (يوم يناد المنادي) مبتدأ وفتحته فتحة بناءٍ؛ لأنّه اسم زمان أضيف إلى جملة فيجوز فيه الإعراب والبناءُ على الفتح ، ولا يناكده أنّ فعل الجملة مضارع، لأنّ التحقيق أنّ ذلك وارد في الكلام الفصيح، وهو قول نحاة الكوفة وابنِ مالك، ولا ريبة في أنّه الأصوب . ومنه قوله تعالى : ﴿**قالَ اللهُ هذَا يَوْم يَنْفَعُ الصادِقِينَ صِدْقهمْ**﴾ (المائدة: 119) في قراءة نافع بفتح 'يومَ'.»[27]

إنّ قول نحاة الكوفة الذي يعزّزه النصّ القرآنيّ هو الأصوب بلا شك، وهو ما قال به سيبويه ويونس دون تصريح بالآيات. ومنه يستفاد أنّ الحقّ أحقّ أن يُتّبع وأنّ يونس مذهبه اتّباع الحق بحسب ما يهدي إليه العقل ويؤكّده النصّ الفصيح سيما القرآن.

وقوله : (يوم يسمعون الصيحة) بدل مطابق من (يوم يناد المنادي)، وقوله : (ذلك يوم الخروج) خبر المبتدأ ....

ولك أن تجعل (يوم يناد المنادي) ظرفاً في موقع الخبر المقدم وتجعل المبتدأ قوله : (ذلك يوم الخروج)، ويكون تقدير النظم : واستمعْ ذلكَ يومُ الخروج يوم ينادي المنادي... وفي تفسير النسَفِي أنّ يعقوب أي الحضرمي أحد أصحاب القراءات العشر المتواترة وقف على قوله (واستمع).[28] وهو وقف يبيّن صحّة المذهب الذي ذكره هذا المفسّر. وما قيل في هذه الآية يشبه ما قيل في آية المائدة من كلام الفرّاء وأبي حيان وغيرهما. وهو مذهب يونس نقله سيبويه.

قال سيبويه: «وأمَّا قولهم دارى خَلْفَ دارك فرسَخاً فانتَصب لأنَّ خَلْفَ خَبَرٌ للدار وهو كلامٌ قد عَمِلَ بعضُه فى بعض واستَغنى فلمَّا قال دارى خلف دارك أَبْهَمَ فلم يُدْرَ ما قدرُ ذاك فقال فرسَخاً وذِراعا ومِيلا أراد أن يبيَّنَ؛ فيَعملُ هذا الكلامُ فى هذه الغايات بالنَّصب كما عَمل له عِشْرون درهماً فى الدرهم ، كأَنَّ هذا الكلامَ شيءٌ منَّونٌ يَعمل فيما ليس من اسمه ولا هو هو، كما كان أفضلُهم رَجُلا بتلك المنزلة. وإنْ شئت قلت دارى خلفَ دارك فرسخانِ تُلْغِى خلفَ كما تُلغِى فيها إذا قلت فيها زيدٌ قائمٌ، وزعم يونسُ أنّ أبا عمرو كان يقول: دارى من خَلْفِ دارك فرسخانِ فشبَّهه بقولك:دارُك منّى فرسخانِ، لأنَّ خلفَ ههنا اسمٌ وجَعَل «مِنْ» فيها بمنزلتها فى الاسم، وهذا **مذهبٌ قويٌّ**.»[29]

وتعبير : «كان يقول» المقصود منه شيء أو أكثر من الأشياء الثلاثة الآتية:

1 - كان يُجيز

2 - كان يروي

3 - كان يقيس.

أما (كان يجيز)؛ فيدلّ عليها سياق العزو الذي يبدو في النص السابق، وهو أنّه بعد أن صحّح عبارة: (داري خلف دارك) بالرواية عن العرب؛ صحّح عبارة أخرى هي (داري من خلف دارك) بالعزو إلى أبي عمرو في رواية يونس عنه، أي أنّه رأيهما ثم علّله تعليلا نحويّا أي أنّه رأي تبنّاه سيبويه وأعجب به.

وأمّا (كان يروي)؛ فيدلّ عليه أنّه حينما نسب الزعم إلى يونس حدّده بالرواية عمّن أخذه عنه. فتكون العبارة التي صحّحها اعتمادا عليهما هي عبارة مرويّة عن أبي عمرو فقط أو عن أبي عمرو من إبداعه واستحسانه أو عن أبي عمرو عن العرب.

وأمّا (كان يقيس)؛ فيؤكّدها قرائن لفظية وأخرى معنوية. فأمّا اللفظية فكقوله: «فشبّهه بقوله»، «وجعل...»، «وهذا مذهب قوي». وأمّا المعنوية فإنّ قول سيبويه: (وإنْ شئت قلت ... تلغي) ثمّ نقل مثل ذلك عن أبي عمرو ويونس من الأدلّة على أنّ كلا من سيبويه ويونس وأبي عمرو يتعاطون ههنا **القياسَ**.

ولأدلّ على ذلك من تعليلاته القياسيّة في قوله: (وأمّا العربُ فتَجعلُه بمنزلة قولك خَلْفَ فتَنصبُ وتَرفعُ لأنك تقول أنت من خَلْفي ومعناه أنت خَلْفي؛ ولكنّ الكلام حَذْف ، ألاَ ترى أنَّك تقول دارُك من خلفِ دارى فيَستغنى الكلامُ. وتقول أنت منّى فرسخَينِ أي أنت منّى ما دُمْنَا نَسيرُ فرسخَينِ فيكون ظرفاً كما كان ما قبله مما شُبّه بالمكان.[30]

ولسنا ننسى أبدا أنّ ليونس أقيسةٌ وأمور أبرَزَها، هي من خصائصه، وأنّه رجل من أوّل من بعج النحو ومدّ علله وقاس واستحسن. فلا يستغرب مثل هذا النقل عنه من قِبَل سيبويه.

غير أنّ سيبويه زان أمرَ يونس حين مزج أقيِستَه بالرواية عنه؛ وبمرويات يونس عن العرب؛ التي جعلها سيبويـــــه بمثابة الشواهد والأدلّة على صواب القياس وسلاسة تعاطيه.

ونقل ابن السرّاج رأي سيبويه كأنّه تبنّاه قال: «وتقول في البعد زيد منّي مناط الثريّا كما قال:

وإنَّ بني حَرْبٍ كمَا قَد عَلِمْتُمُ ❖ مَناطَ الثُّرَيَّا قَد تَعَلَّت نُجُومُها

واعلم : أنّه لا يجوز : أنت منّي مربط الفرس وموضع الحمار؛ لأنّ ذلك شيء غير معروف في تقريب ولا تبعيد. وجميع الظروف من الأمكنة خاصة تتضمن الجثث دون ظرف الأزمنة، تقول : زيد خلفَكَ والركب أمامَكَ والنّاس عندَكَ،.... تجعل الظروف من المكان مفعولات على السعة كما فعلت ذلك في الأزمنة.»[31]

وهنا فرق آخرُ بين ظروف المكان وظروف الزمان نبه إليه سيبويه، وهو أن الخصوصية في الأمكنة هي التي منعت تصرف ظرف المكان كتصرف ظرف الزمان فلم يجز أنت مني مربطَ الفرس كما جاز هو مني معقد الإزار. أي قدر عقده.

كما لم يجز في المكان ما هو غير معروف القدر من البعد والقرب والطول والقصر ونحو ذلك. ويجوز ذلك في الزمان اتساعا ومجازا ؛ كما سبق في قولٍ لسيبويه عرضناه.

وينبّه سيبويه إلى جانب آخر مهمّ ودقيق هو أنّ ظروف الزمان أكثر تمكنا من باب الإسمية من ظروف المكان ، وذلك أنها تُجعل عاملة وفاعلة وركنا من أركان الجمل الفعلية والإسمية وهي في الفعلية أكثر بروزا وعملا. يقول: «واعلم أنَّ ظروفَ الدهرِ أشدُّ تمكّنا في الأسماء لأنها تكون فاعِلةً ومفعولةً ، تقول أَهْلَكَك الليلُ والنهارُ واستَوفيتَ أيّامَك فأُجرِيَ الدهرُ هذا المجرى ، فأَجْرِ الأشياءَ كما أَجروها.»

وهذه الفكرة لا نرى فيها حضورا ليونس، بل لا نرى سيبويه أحال فيها على أحد من شيوخه الخليل أو أبي عمرو أو غيرهما، ما يدلّ على مكنة منه في باب الفكرة النحوية المبتكرة وقدرة على اكتشاف المكنونات التي تتميز بها لغة العرب ، فيكون في دقائق كثيرة كهذه ، هو أوّل فاتحٍ لِبابها.

ويستشهد لهذه الفكرة من متن اللغة، لكن بما يصنعه من تعبيرات وجمل نحوية اعتمادا منه على سريانها على ألسنة الناس زمانَه وكثرتها منهم كلَّ زمان وأوان: وذلك قوله:(تقول أَهْلَكَك الليلُ والنهارُ واستَوفيتَ أيّامَك). ومنه القول المأثور عنهم: من لم يؤدبه أبواه أدبه الليل والنهار. وهو في القرآن والنصوص الفصيحة لا يحصى، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ**﴾ [الإسراء/]. وقد كثر القسم بالظرف (الدهر في تعبير سيبويه) كثيرا في القرآن الكريم ومنه: والعصر والفجر والليل والنهار...

ونجد هذه الفكرة أقلّ وضوحا عند الأخفش، لكنّها كالذّي قال سيبويه ترد في كلام العرب عاملةً متمكنة، قال الأخفش في قول الشاعر:

هذا النهارُ بدا لَها من هَمِّها ❖ ما بالُها بالليلِ زالَ زوالَها

نصب «النهارَ» على الظرف وان شاء رفعه وأضمر فيه. وأما «زوالَها» فانه كأنه قال: "أزالَ اللَّهُ الليلَ زوالَها".[32] فالنصب أصل في الظرف، والرفع لكونه متمكنا عاملا.

ويعرب سيبويه عن أن ذلك «كون ظرف الزمان أمكن من ظرف المكان في الإسمية» من سمات العرب في التعبير وأنه يجب الخلوص إلى ما طرائقهم والنهج على سبلهم بقوله: (فأَجْرِ الأشياءَ كما أَجروها). كأنه يشير إلى مسألة القياس. وهذا كمذهب يونس المعهود عنه.

وذكر الصاغاني في «الشوارد» تسعا وأربعين ومئة (149) كلمة ورأيٍ نحوي مما تفرد به يونس، ومن ذلك إيراده في (مَتى) مُتى: لغةً نطقت بها العرب على قوله في مَتَى في الاستفهام والشَّرط حسبُ، أي دون الظَّرفِ.[33] أي: إن متى الظرفية ليس فيها غير فتح الميم، ويجوز في لغة ضم الميم إذا كانت متى استفهامية أو شرطية.

وهذا يعطينا مؤشّرا نفهم به بعض طرائق تفكير هذا الرجل ، وهو أنّه مكثر من الرواية عن العرب مستعمل ما استعملته يأخذ به لا يقدّم عليه ولا بين يديه. وهو مذهب اشتهر عن الكوفيين. ونرى سيبويه لا ينكر عليه ذلك ويرتضيه منهجا علميا سائغا.

وخلاصة القول في إشراك سيبويه شيخه يونس في مناقشة الدقائق التي نوى عرضها ، هو أنّه وضعه موضعه اللائق به في النقاش فعزا إليه ما رابه تخلّصا من تبعات المناقدة والمساءلة ، وعزا إليه أخذاً برأيه واعتدادا به وتثمينا، وعزا إليه مع الحياد حينما بايَنَ بين رأيه ورأي شيخه يونس. ولعمري إنّ ذلك في أعلى مراتب الدقة العلمية وأسمى صنوف المنهجية السليمة.

وبالنظر في باب الظرف كلّه نظرة عجلى من عل ، وبمقارنة بسيطة بين إشراك يونس وإشراك أبي عمرو في مائدة سيبويه العلميّة نخلص إلى تقديم يونس وإعلان المباشرة لآرائه وإن كان مصدرها هو أبو عمرو ذاته.

2 - مسألة تعريف الحال وتنكيره:

من الأقيسة التي عرف بها يونس أنّه أجاز للحال أن تأتي معرفة دون تأويل قياسًا على الشواهد التي جاءت مؤوّلة لدى البصريين يقول سيبويه: «أمّا يونس فيقول: (مررت به المسكينَ) على قوله: (مررت به مسكينًا).»[34]

وهذا القول غير مقبول عند جمهور البصريين قال سيبويه: «وهذا لا يجوز

لأنّه لا ينبغي أن يجعله حالا ويدخل فيه الألف واللام، ولو جـــاز هذا لجاز (مررتُ بعبد الله الظريف) تريد ظريفًا، ولكنّك إن شئت حملته على أحسن من هذا.»[35]

فسيبويه اعتمد على الكثرة ورفض القياس على الشواهد التي جعلت الحال معرفة وهو بذلك يخالف شيخه يونس الذي يقيس على القليل المسموع. فالبصريون باستثناء يونس ذهبوا إلى أنّ الحال لا يأتي إلا نكرة وما جاء معرفة يؤوّل بنكرة مثل: جاء وحده، مؤوّل ب (مفرد) وأرسلها العراك (متعاركة).[36]

فكلمة (المسكين) في المثال تعرب حالا عند يونس على الرّغم من أنّها جاءت معرّفة بالألف واللام، أمّا سيبويه فيرى أنّ إعراب كلمة (المسكين) بالنصب على أنّها مفعول لفعل محذوف تقديره: لقيت.

ويقول الدكتور مكي الأنصاري في هذه المسألة: «إنّ البغداديين وافقوا يونس على هذا الرأي المبتكر القائل بجواز مجيء الحال معرفة مطلقًا دون قيد أو شرط، اعتمادًا على السماع واستنادًا إلى القياس على الخبر مع القياس، على المسموع من اللسان العربي شعرًا أو نثرًا ومن القرآن الكريم.»[37]

وإنّي لا أوافق الدكتور الأنصاري على قوله: " هذا الرأي المبتكر" كون رأي يونس احتجاجا لما قالته العرب وموجودا في كلامها، أي مادام هناك ما يؤيّده من السماع فهو ليس مبتكرًا.

فيونس عندما ذهب إلى هذا الرأي ارتكز على ما سمعه من كلام العرب نحو: مررت بهم الجمّاء الغفير، فهي حال معرفة ومثال ذلك أيضا قول لبيد بن ربيعة:

فأرسلها العراك ولم يذرها ❖ ولم يشفق على بعض الدّخال [38]

وقول الشمّاخ:

أتتني سليمٌ قضّها بقضيضها ❖ تمسّح حولي بالبقيع سبالها [39]

ومن النثر قولهم: «طلبته جهـــــدك، ومررت به وحده، ومررت بهم ثلاثتهم وأربعتهم...إلى العشرة.»

وقد وافق يونس في هذه المسألة البغداديون ومن المحدثين الدكتور «محمد علي حمزة» في كتابه «ابن الناظم النحوي»، وذلك في قوله: «... وليس هناك ما يلزمنا بالأخذ بحكم البصريين بالشذوذ على هذه النقول الصحيحة.»[40]

قال ابن عقيل: «وزعم البغداديون ويونس أنّه يجوز تعريف الحال مطلقًا بلا

تأويل، فأجازوا- جاء زيد الراكب-"[41]

وذهب الكوفيون مذهب يونس والقول بتعريف الحال ولكن إذا تضمّنت معنى الشرط مثل: زيد الراكبَ أحسن منه الماشي، فالراكب والماشي حالات وتقديرها زيد إذا ركب أحسن منه إذا مشي، فإذا لم تتضمّن معنى الشرط لا يجوز تعريفها.

3 - مسألة (إذن):

من الأقيسة التي تفرّد بها يونس جواز إلغاء «إذن» إذا اتصل بها حرف عطف كالواو أو الفاء حيث يجوز في المضارع الرفع على الإلغاء والنصب إذا عملت والجزم عطفا يقول سيبويه: «وتقول: إن تأتني آتك وإذن أكرمك، إذا جعلت الكلام على أوله ولم نقطعه وعطفته على الأوّل، وإن جعلته مستقبلا نصبت وإن شئت رفعته على قول من ألغى، وهذا قول يونس وهو حسن لأنّك إذا قطعته من الأوّل فهو بمنزلة: فإذن أفعل إذا كنت مجيبا رجلاً.» [42]

فيونس أجاز الوجهين إعمال وإلغاء (إذن) في قولنا: إن تأتني آتك وإذن أكرمك، فوافقه سيبويه على ذلك، واستحسن هذا الرأي ووصفه بالحسن، وجمع هذا الرأي ثلاث حالات لإذن بقول المبرد: «واعلم أنّها إذا وقعت بعد واو أو فاء صلح الإعمال فيها والإلغاء لما أذكره لك وذلك قولك: إن تأتني آتك وإذن أكرمك، إن شئت رفعت وإن شئت نصبت وإن شئت جزمت، أما الجزم فعلى العطف على آتك، وإلغاء إذن، والنّصب على إعمال إذن والرفع على قولك: وأنا أكرمك ثم دخلت بين الابتداء والفعل فلم نعمل شيئا والرفع على قولك: وأنا أكرمك ثم دخلت بين الابتداء والفعل فلم نعمل شيئا وهذه الآية:﴿...**وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ**...﴾[43] في مصحف ابن مسعـــــــود(وإذن لا يلبثوا خَلَفَكَ) [44] كقوله تعالى الفعل فيها منصوب بإذن والتقدير- والله اعلم- الاتصال بإذن وإن رفع فعلى الثاني محمول على الأوّل كما قال عزّ وجل: ﴿... **فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**﴾[45]، أي فهم إذن كذلك.»[46]

فالمبرد أقرّ ما قاله يونس وجاء بالدليل من القراءات فوجه الإلغاء ورفع الفعل على اعتبار كون «إذن» ما بعد العاطف الذي ربط حرفه بين الجملتين، وبسبب هذا الربط أصبح الكلام بعضه لبعض فصارت «إذن» بذلك متوسطة ففقد أحد شروط إعمالها.

والإعمال وهو نصب الفعل باعتبار كون ما بعد العاطف جملة مستقلة، والفعل فيها بعد «إذن» غير معتمد على ما قبلها وتكون «إذن» على هذا الوجه لها الصدارة في الكلام، لذلك فهي عاملة مع استيفاء الشرطين الآخرين.

4 - النُدبـــــة:

من الآراء التي تفرّد بها يونس وخالفه فيها سيبويه والخليل.

ندبة الصفة، فيونس يلحق الصفة الألف فيقول: "وازيد الظريفاه واجمجميّ الشاميتيناه"، وزعم الخليل رحمه الله أنّ هذا خطأ. [47]

ولم ينقل لنا سيبويه تحليل كلّ منهما، غير أنّنا نطالع في الإنصاف أنّ الكوفيين أخذوا برأي يونس في هذه المسالة وتمسكوا بما روي عن بعض العرب أنه ضاع منه جمجمتان أي قدحان فقال واجمجمتي الشاميتيناه وألقى علامة الندبة على الصفة.[48]

وعلّلوا مذهبهم هذا كون الصفة مع الموصوف بمثابة المضاف مع المضاف إليه وأنه لما جاز مع المضاف إليه فهو جائز.

وعلّل البصريون مذهب سيبويه، إنّ ألف الندبة تلقى على المضاف إليه نحو قولنا: واعبد زيداه، واغلام عمراه ولا يجوز هذا في ندبة الصفة. وهذا ما وجدنا في قول الخليل، الذي أستند إليه سيبويه.

وزعم الخليل رحمه الله أنّه منعه من أن يقول الظريفاه أنّ الظريف ليس بمنادى، ولو جاز ذا لقلت: وازيد أنت الفارس البطلاه، لأنّ هذا غير منادى كما أنّ ذلك غير نداء.[49]

فالصفة عنده كالخبر في خروجها عن النداء، وقد احتج الخليل لبطلان الصفة ببطلان ندبة الخبر وقال من يخالفه ليس الخبر مثل الصفة لأنّ الخبر منقطع عن المندوب والصفة تمامه.

الثاني لغة من اللغات ونحو غلامي أقبل ونظير ذلك من القرآن: ﴿... **يَا عِبَادِي فَاتَّقُونِ**﴾[50] وقد اورد ابن هشام في هذه المسالة ست لغات وهي:

1. بإثبات الياء نحو يا غلامي كقوله تعالى: ﴿**يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُم**...﴾[51]
2. بحذف الياء وإبقاء الكسرة نحو «يا غلام» كقوله تعالى: ﴿... **يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**﴾
3. بالضم مثل يا أمّ وقرئ: قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِ**...﴾[52]
4. بفتح الياء في غلامي كقوله تعالى: ﴿... **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ**...﴾[53]
5. بقلب الياء لتحريكها وانفتاح ما قبلها كقوله تعالى: ﴿.. **يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ**..﴾[54]
6. يا غلام بحذف الألف وإبقاء الفتحة دليلا عليها كقول الشاعر:

ولستُ براجعٍ ما فات منّي ❖ بِلَهفَ ولا بلَيْتَ ولَا لو أنّي

أي بقولي يالهفَا.

ولم يعلّل يونس ولا سيبويه وجه القياس في الضمّ إلاّ أنّنا وجدنا ابن يعيش يضع لبناء ربّ وقومُ على الضم تخريجا إذ يقول: «وخصّ بضم لوجهين أحدهما شبه بالمضاف نحو قبل وبعد تعربان مضافتين ومنكورتين وتبنيان في غير ذلك فكما بُني قبل وبعد على الضم كذلك المنادى المفرد يُبنى على الضم، والثاني أنّ المنادى إذا كان مضافا إلى مناديه كان الاختيار حذف ياء الإضافة والاكتفاء بالكسر منهما،فلما كان الفتح في غير حال البناء، وبُني، جُعل له في حال البناء من الحركات ما لم يكن له في غير حال بنائه وهو الضمّ فذلك علّة بنائه على الضمّ.»[55]

أمّا ابن الأنباري فيرى أنّ إلحاق علامة الندبة بالصفة من الشاذ الذي لا يعبأ ولا يقاس عليه[56]، فهو لا يوافق ما جوّزه يونس بن حبيب في هذه المسألة.

الإحـــــــــالات:

(1) يدور حديث سيبويه حول رأي الخليل في قول الشاعر (ألا رجلا جزاه الله خيرا)، وذلك على إضمار فعل.

(2) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2 /308.

(3) الخصائص،ابن جني، الهيئة المصرية للكتاب،2 /12.

(4) الكتـــــــــاب، 2 /63.

(5) المصدر السابق- 3 /249.

(6) ينظر-المفصل في تاريخ النحو- محمـــــد خير الحلواني 1 /214.

(7) المدارس النحوية - شوقي ضيف - دار المعارف – مصر – ص: 28.

(8) الكتاب لسيبويهِ،1-/ 404.

(9) نفســـه: (1 /404 - 405).

(10) نفســـــــــه، 1 /405.

(11) الكتـــــــــاب: 407.

(12) المقتضب، المبرد، تحقيـــــــــــق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية- (4 / 342).

(13) الكتاب: 1 /414.

(14) الأصول لابن السراج-تحقيق عبد الحسين الفتلي- مؤسسة الرسالة-ط1996ص:1 /200.

(15) الكتاب: 1/ 417 ، وينظر: الأصول في النحو: (1 / 200).

(16) نفســـه، 1 /200.

(17) الكتاب (1 / 410).

(18) ينظر معاني القرآن للفراء، 1/11، 13، 39 ، 55 ، 58 ، 90 ، وهو فيه كثير.
(19) البحر المحيط، لأبي حيان الاندلسي، مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، ط1، (4 / 67).
(20) ينظر الكشاف، الزمخشري، تحقيق مصطفى حسين احمد، دار الكتاب العربي، 1996- 1 /697.
(21) سورة البقـــــــرة، الاية 48.
(22) البحر المحيـــــــط (4 / 67).
(23) سورة المائـــــــدة، الاية 119.
(24) سورة المرســـــــلات، الاية 35.
(25) معانى القرآن للفراء : (1 / 303).
(26) ســـــــــــورة ق، الاية 32.
(27) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، 26/329.
(28) نفســه: 26/330.
(29) الكتـاب، 1/ 417.
(30) الكتاب، 1 /417.
(31) الأصــول في النحو: (1 / 201).
(32) معاني القرآن للأخفش، 1 /39.
(33) ينظر: الشـوارد، للصاغاني، ص: 358. وهي لغة لا نزال نسمعها اليوم في العراق وبعض أقاليم الخليج العربي تماما كما روى يونس في الاستفهام دون الظرف.
(34) الكتاب،سيبويه: 2 /76.
(35) المصدر نفســه، 2 /73.
(36) ينظر: توضيح المقاصد، المرادي، تحقيق: عبد الرحمن سليمان علي- دار الفكر العربي 2 /137.
(37) يونس البصري، أحمد مكي الأنصاري، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، ص: 183.
(38) ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق: إبراهيم جزيني، دار القاموس الحديث – بيروت – ص: 86.
(39) ديوان الشمّاخ بن ضرار، تحقيق: صلاح الدين الهادي،دار المعارف- مصر: 1 /61.
(40) ينظر، ابن الناظم النحوي – محمد علي حمزة- نقلا عن أثر يونس بن حبيب في سيبويه- وليد شعبان الفراجي- دار البداية – عمان- الأردن- ط-1 -2013 ص: 57.
(41) شرح ابن عقيل 1 /630، وانظـــــــــــــر: شرح المفصّل 2 /19.
(42) الكتـاب، سيبويه- 3/15.
(43) سورة الإسراء / الآية: 76.
(44) النشر في القراءات العشر- ابن الجزري-دار الكتب العلمية-بيروت –ص 231
(45)سورة النساء، الآية 53.

(46) المقتضب، المبرد، تحقيق: عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، 2 /11.
(47) الكتاب – 2/227.
(48) الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري، المكتبة المصرية، ط1، 2003، 1 /300.
(49) الكتاب: 2 /227.
(50) سورة الزمـــر، الآية: 16.
(51) سورة الزخرف، الآية 68.
(52) سورة الأنبياء، الآية 112.
(53) سورة الزمـــر، الآية 53.
(54) سورة يوسف، الآية 84.
(55) شرح المفصّل، ابن يعيش، تحقيق: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية،بيروت، 1 /322.
(56) الإنصاف: 1 /301.